وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية

المحاضرة الرابعة
التعليم في عصر محمد علي باشا

محاضرة للمرحلة الثالثة / قسم الجغرافية / مادة تاريخ الوطن العربي الحديث

م.د. اسامة عبد الخالق عايد التكريتي

التعليم في عصر محمد علي باشا

وجه محمد علي جزءًا كبيرًا من جهوده إلى إحياء العلوم والآداب في مصر، وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها، وإرسال البعثات العلمية[؟] إلى أوروبا، وقد اتبع في هذا السبيل تلك الفكرة التي اتبعها في إنشاء الجيش والأسطول[؟]، ذلك أنه اقتبس النظم الأوروبية الحديثة في نشر لواء العلوم والعرفان، فأسس المدارس الحديثة، وأخذ من الحضارة الأوروبية خير ما انتجته العلوم والقرائح، فنهض بالأفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث.

المدارس في عصر محمد علي

عنى محمد علي بنشر التعليم على اختلاف درجاته من عال إلى ثانوي إلى ابتدائي، ويتبين من مقارنة تاريخ المنشات العلمية أنه عنى أولا بتاسيس المدارس العالية وايفاد البعثات، ثم وجه نظره إلى التعليم الابتدائي، ونعم ما فعل، لان الامم انما تنهض اولا بالتعليم العالي الذي هو اساس النهضة العلمية.

وقد أراد بادئ الأمر ان يكون طبقة من المتعلمين تعلما عاليا يستعين بهم في القيام باعمال الحكومة والعمران في البلاد، وفي نشر التعليم بين طبقات الشعب، وهذا هو التدبير الذي برهنت عليه التجارب انه خير ما تنخض به الامم، وقد ساعد على تكوين طبقة تعلمت تعلما عاليا قبل إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية ان الأزهر كفل امداد المدارس العالية والبعثات بالشبان المتعلمين الذين حازوا من الثقافة قسطا يؤهلهم لتفهم دروس المدارس العالية في مصر أو في أوروبا، فكان الأزهر خير عضو للتعليم العالي

- مدرسة الهندسة بالقلعة (المهندسخانة)

ويبدو لنا أن أول ما فكر فيه محمد علي من بين المدارس العالية مدرسة الهندسة، وهذا يدلك على الجانب العملي من تفكيره، فانه راى البلاد في حاجة إلى مهندسين لتعهد أعمال العمران فيها، فبدا بتعليم الهندسة.

وظاهر مما ذكره الجبرتي في حوادث 1231 هـ (1816 م) ان أول مدرسة للهندسة بمصر يرجع عهد تاسيسها إلى تلك السنة، وذلك ان أحد أبناء البلد على حد تعبير الجبرتي واسمه حسين شلبي عجوة، اخترع آلة لضرب الارز وتبييضه، وقدم نموذجا إلى محمد علي، فاعجب بها وانعم على مخترعها بمكافاة، وامره بتركيب مثل هذه الآلة في دمياط، وأخرى في رشيد، فكان هذا الاختراع باعثا لتوجيه فكره إلى إنشاء مدرسة للهندسة، فانشاها في القلعة.

هذه بعينها هي مدرسة الهندسة أو المهندسخانة بما فيها من دروس الرياضة والهندسة وما إليها، وتلاميذها يتعلمون مجانا وترتب لهم رواتب شهرية وكساوى ولها اساتذة من امثال حسن افندي الدرويش الموصلي وروح الدين افندي «بل واشخاص من الإفرنج» كما يعتبر الجبرتي.

وقد دعا الجبرتي إلى الكلام عن هذه المدرسة في ترجمة حسن افندي الدريوش المتوفى سنة 1231 هـ فقال: «لما رغب الباشا في إنشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب، وذلك انه تداخل بتحيلاته لتعليم مماليك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك، ورتب له خروجا وشهرية ونجب تحت يده المماليك في معرفة الحسابات ونحوها، واعجب الباشا ذلك فذاكره وحسن له بان يفرد مكانا للتعليم، ويضم إلى مماليكه من يريد التعليم من اولاد الناس، فامر بانشاء ذلك المكتب واحضر اليه اشياء من الات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الإنجليز وغيرهم، واستجلب من اولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية التعليم، ورتبوا لكل شخص شهرية وكسوة من اخر السنة، فكان يسعى في تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجملوا بها بين اقرانه، ويواسي من يستحق المواساة، ويشتري لهم الحمير مساعدة لطلوعهم ونزولهم إلى القلعة، فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح إلى بعد الظهر واضيف اليه اخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون اعجميا لا يعرف العربية مساعدا للمترجم في التعليم يسمى روح الدين افندي، فاستمر نحوا من تسعة أشهر ومات المترجم وانفرد برياسة المكتب روح الدين افندي».

هذا ما ذكره الجبرتي، ومنه يؤخذ قطعا ان أول مدرسة للهندسة انشئت سنة 1816 بالقلعة، وبذلك تكون هذه المدرسة أول مدرسة عالية انشئت في عصر محمد علي، لان المدارس الأخرى انشئت بعد ذلك التاريخ، ويؤخذ من كلام الجبرتي ان التعليم فيها كان مجانيا، وكانت الحكومة تؤدي رواتب شهرية لتلاميذها، وكذلك كان شانها في كل المدارس التي انشئها، ويفهم أيضا من كلام الجبرتي ان إنشاء هذه المدرسة راجع إلى ما ظهر من المصريين من المواهب في الكفاءة والابتكار، فان ما راته محمد علي من حسين شلبي إذ وافق إلى هذا الاختراع، أو النكتة، كما يقول الجبرتي، جعله يفكر في إنشاء المدرسة، فحسن استعداد المصريين وذكاؤهم الفطري كانا من اعظم ما حفز همة محمد علي إلى إنشاء المدارس في مصر.

ويحصل من رواية الجبرتي ان مدرسة الهندسة كان بها مدرسون من الإفرنج، ولعل هذه المدرسة هي التي يشير إليها الأمر الصادر من محمد علي باشا بتاريخ 4 ذي الحجة سنة 1235 (12 سبتمبر سنة 1820) إلى كتخدا بك بتعيين أحد القسس لاعطاء دروس في اللغة الطليانية والهندسة لبعض تلامذتها وان يخصص له محل للتدريس في القلعة، والهيا أيضا يشير الأمر الصادر بتاريخ 16 سبتمبر من تلك السنة بتعيين الخواجة قسطي بمدرسة المهندسخانة لتدريس الرياضة والرسم بها.

مدرسة المهند سخانة ببولاق

والظاهر ان مدرسة القلعة لم تف على مر السنين بحاجات البلاد إلى المهندسين، أو ان برنامجها لم يكن وافيا بالمرام، فانشا محمد علي في سنة 1834 مدرسة أخرى للمهندسخانة في بولاق، وعين ارتين افندي أحد خريجي البعثات العلمية وكيلا لها، ثم تولى نظارتها يوسف حاككيان افندي أحد خريجي البعثات أيضا، وفي سنة 1838 اسندت نظارتها يوسف لامبير بك لغاية سنة 1840 إذ تولاها علي مبارك بك (باشا)، وهذه المدرسة من اجل وانفع المدارس التي انشاها محمد علي باشا، ومنها تخرج عدد كبير من المهندسين الذين خدموا البلاد خدمات جليلة، ومحمود باشا الفلكي، ودقة بك، وإبراهيم بك رمضان، وأحمد بك فايد وسلامة باشا.

- **مدرسة الطب**

مدرسة الطب فى أبى زعبل

اسس محمد علي مدرسة الطب سنة 1827 اجابة لاقتراح الدكتور كلوت بك، وكان مقرها في أول عهدها بابي زعبل لوجود المستشفى العسكري بها من قبل، فانشئت المدرسة بالمستشفى إذ كان اليق مكان في ذلك الحين لايواء المدرسة لتوافر وسائل التعليم الطبي والتمرين، والغرض منها تخريج الأطباء المصريين للجيش، ثم صار الغرض عاما بان صار الأطباء يؤدون الأعمال الصحية للجيش وللبلاد عامة. واختارت الحكومة للمدرسة مائة تلميذ من طلبة الأزهر، وتولى ادارتها وإدارة المستشفى الدكتور كلوت بك، فاختار لها طائفة من خيرة الاستاذة الأوروبيين ومعظمهم من الفرنسيين يدرسون علوم التشريح والجراحة، والامراض الباطنية، والمادة الطبية، وعلم الصحة، والصيدلة، والطب الشرعي، والطبيعة، والكيمياء، والنبات، وكان فيها اساتذة اخرون لتدريس اللغة الفرنسية للتلاميذ الأزهريين. وقد بذل كلوت بك جهودا صادقا للنهوض بالمدرسة والسير بها إلى ذروة النجاح، واعترضه صعوبا جمة واهمها لغة التعليم، فقد كان المقرر جعل التعليم باللغة العربية، ولكن الاساتذة كانوا يجهلون تلك اللغة، فاختير لهم مترجمون يجيدون اللغتين الفرنسية والعربية، فكان المدرس ياتي إلى الفرقة ومعه المترجم فيلقي الدرس بالفرنسية وينقله المترجم إلى العربية، ويكتبه التلاميذ بخطوطهم في كراريسهم. ثم صار المترجمون يختارون من بين أوائل تلاميد المدرسة الذين تعلموا اللغة الفرنسية في ساعات فراغهم وفي معهد الحق خصيصا بالمدرسة لتعلم تلك اللغة، لكن هذا المعهد لم يلبث ان الغي.

والحق بالمستشفى حديقة للنبات فيها كل ما تنب الأرض من العقاقير والنباتات النادرة. وبعد خمس سنوات من إنشاء المدرسة تخرجت الطائفة الأولى من تلاميذها، فوزعوا على المستشفيات وفيالق الجيش، واختير من بينهم المتفوقين على اقرانهم وهم عشرون، فابقي منهم ثمانية في المدرسة في وظيفة معيدين للدروس، وارسل الاثنا عشر الباقون إلى باريس لاتقان علومهم واتمامها، فلما عادوا عينوا اساتذة في المدرسة، وهم الذين تالفت منهم البعثة العلمية الرابعة كما سيجئ بيانه.

ذكـر المسـيو مانجـان ان عـدد تلاميـذ مدرسـة الطـب بلـغ سـنة 1837 140 طالبـا و50 طالبـا فـي مدرسـة الصـيدلة، ووصـف مستشـفى أبـي زعبـل، فقـال انـه احتـوى علـى 720 سـريرا، وان غرفـة منسـقة تنسـيقا بـديعا، يتخللهـا الهـواء الطلـق، وتسـودها النظافـة حيـث عهـد إلـى مدرسـي مدرسـة الطب ملاحظة خدمة المستشفى فجمعوا بين التدريس وملاحظة المستشفى.

ثـم نقلـت المدرسـة ونقـل معهـا المستشـفى إلـى مـص رسـنة 1837، واختيـر لهـا قصـر العينـي فصـارت المدرسـة والمستشـفى اقـرب إلـى القـاهرة وادعـى إلـى نشـر التعلـيم الطبـي ومعالجـة المرضى.

مدرسة الصيدلة ومدرسة الولادة

والحـق بمدرسـة الطـب مدرسـة خاصـة للصـيدلة، ثـم مدرسـة للقـابلات والـولادة واختيـرت لهـذه الأخيـرة طائفـة مـن السـودانيات والحبشـيات تعلمـن فيهـا اللغـة العربيـة وفـن الـولادة والحـق بمدرستهم مستشفى صغير للنساء ثم نقلت المدرسة من أبي زعل إلى القاهرة.

كلوت بك

هـو صـاحب الفضـل الكبيـر علـى النهضـة الطبيـة الحديثـة فـي مصـر، ولـد فـي مدينـة جرينوبـل بفرنسـا سـنة 1793 مـن ابـوين فقيـرين، ولمـا ترعـرع اكـب علـى الـدرس علـى مـا كـان فيـه مـن عـوز وفاقـة، وتعلـم الطـب واضـطر ان يشـتغل صـبيا عنـد حـلاق بمرسـيليا ليتـابع دروسـه، ولـم يـزل مكبـا علـى تعلـم الطـب إلـى أن أخـذ اجازتـه وعـين طبيبـا ثانيـا فـي مستشـفى الصـدقة بمرسـيليا، ثـم انفصـل عـن هـذا المنصـب، ومـارس مهنـة الطـب فـي تلـك المدينـة إلـى أن تعـرف إلـى تـاجر فرنسـي كـان محمـد علـي عهـد إليـه ان يختـار لـه طبيبـا للجـيش المصـري، فرغـب إليـه قبـول هـذه المهمـة فرضـى بهـا وجـاء مصـر سـنة 1825، وكـان عـل اخـلاق فاضـلة وعزيمـة صـادقة، فعهـد إليـه محمـد علـي تنظـيم الإدارة الصـحية للجـيش المصـري المنشـاة حـوالي سـنة 1820، وجعلـه رئـيس أطبـاء الجـيش فعنـى بتنظـيم هـذه الإدارة عنايـة تامـة، ولمـا كانـت الخانكـة حـين مجيئـه إلـى مصـر مقـرا للمعسـكر العـام للجـيش اشـار علـى محمـد علـي باشـا بانشـاء مستشـفى عسـكري بـابي زعبـل بجـوار المعسـكر العـام، فانفـذ محمـد علـي اقتراحـه وانشـا المستشـفى الـذي صـار فيمـا بعـد مستشـفى عامـا لمعالجـة الجنـود وغيـرهم ونموذجـا للمستشـفيات التـي انشـئت مـن بعـده، ثـم خطـر لـه ان ينشـئ بجـوار المستشـفى المـذكور مدرسـة لتخـريج الأطبـاء مـن أبنـاء البـلاد، فعمـل محمـد علـي باقتراحـه وانشـا بـابي زعبـل سـنة 1827 مدرسـة الطـب التـي صـارت مبعـث النهضـة الطبيـة فـي مصـر، وتـولى كلـوت بـك ادارتهـا ثـم نقلـت المدرسـة ومعهـا المستشـفى إلـى قصـر العينـي سـنة 1837 كمـا رايـت فـي سـباق الكـلام، ولكلـوت بـك كثيـر مـن المؤلفـات الطبيـة تـرجم معظمهـا خريجـو مدرسـة

الطب، وقد اسس مجلسا للصحة على النظام الفرنسي كان له فضل كبير في النهوض بالحالة الصحية للبلاد وعنى بتنظيم المستشفيات وانشا مجلس الصحة البحري في الإسكندرية.

وقد بذل جهودا صادقة في ترقية حالة البلاد الصحية ومقاومة الامراض، وهو الذي اشار باستعمال تطعيم الجدري لمقاومة انتشار هذا المرض في القطر المصري بعد أن كان يودي بحياة نحو ستين الفا من الأطفال كل عام، وكافح هو وتلاميذه وباء الكوليرا الذي وقع بمصر سنة 1830، وقد سر محمد علي لما بذله من جهود في مقاومة هذا الوباء فانعم عليه بالبكوية فصار يعرف بكلوت بك.

وبذل أيضا جهودا كبيرة في مقاومة الطاعون الذي حل بالبلاد سنة 1835 وانعم عليه لهذه المناسبة برتبة امير لواء.

ولما تولى عباس باشا الأول اضمحلت مدرسة الطب وعاد كلوت بك إلى فرنسا، ثم اقفلت المدرسة في عهد سعيد باشا وانتظم تلاميذها في سلك الجيش، غير ان سعيد باشا عاد واعتزم فتحها فاستدعى كلوت بك من فرنسا واعيد فتح المدرسة سنة 1856 باحتفال فخم، غير ان كلوت بك قد ضعفت صحته فارتحل إلى فرنسا سنة 1858 واقام بها إلى أن وافته المنية في أغسطس سنة 1868.

- **مدرسة الألسن في القاهرة**

انشئت سنة 1836 مدرسة الألسن (مكان فندق شبرد الآن 1930 تاريخ الطبعة الأولى) وهي التي تولى نظارتها رفاعة بك رافع سيجئ الكلام عنه في ترجمته.

بقية المدارس العالية والخصوصية

مدرسة المعادن بمصر القديمة أسست سنة 1834

مدرسة المحاسبة بالسيدة زينب أسست سنة 1837

مدرسة الفنون والصنائع (وتسمى مدرسة العمليات) اسست سنة 1839 وتولى نظارتها يوسف حككايان بك.

مدرسة الصيدلة بالقلعة اسست سنة 1829.

مدرسة الزراعة بنبروه، ثم نقلت إلى شبرا سنة 1836، ثم الغيت سنة 1839.

مدرسة الطب البيطري، أنشئت أولا برشيد ثم نقلت إلى أبي زعبل بالقرب من مدرسة الطب، ثم نقلت إلى شبرا وتولى ادارتها المسيو هامون.

المدرسة التجهيزية (الثانوية) بابي زعبل، ثم نقلت إلى الازبكية.

المدرسة التجهيزية بالإسكندرية.

- **ديوان المدارس**

لما تقدمت المدارس العالية والخصوصية التي انشاها محمد علي، واتسع نطاقها راى ان ينشئ لها إدارة خاصة سميت (ديوان المدارس) سنة 1837، وكان موجودا من قبل باسم مجلس شورى المدارس، وقد ساعد على تنظيم هذه الإدارة تخرج نوابغ أعضاء البعثات وعودتهم إلى مصر، فراى محمد علي ان يهيئ لهم الفرصة للانتفاع بمواهبهم في تنظيم نهضة التعليم فاسس ديوان المدارس، واسند رياسته إلى أمير اللواء مصطفى مختار بك أحد خريجي البعثة الأولى، فكان هذا الديوان أول وزارة للمعارف في مصر، وقد توفى مختار بك سنة 1838 وخلفه سنة 1839 امير اللواء أدهم بك (باشا) وهو ذلك الضابط القدير الذي كان مديرا للترسانة بالقلعة، وتكلمنا عنه انفا، وبقى يتولى هذا المنصب إلى سنة 1849.

وكان لديوان المدارس مجلس مؤلف من مصطفى مختار بك رئيسا، ومن الأعضاء الاتية اسماؤهم، كلوت بك، كياني بك، ارتين بك، اسطفان بك، حككيان بك، فارين بك، رفاعة رافع بك، محمد بيومي أفندي، لامبير بك، هامون بك، دوزول، بعض هؤلاء الأعضاء من خريجي البعثات المصرية.

وقد قرر هذا المجلس تنظيم التعليم بالمدارس، ووضع لائحة لنشر التعليم الابتدائي تشمل 27 مادة ذكر فيها ضرورة إنشاء خمسين مدرسة ابتدائية، منها 4 بالقاهرة، وواحدة بالإسكندرية، والباقي في انحاء القطر المصري لنشر التعليم بين طبقات الأمة، وقضت هذه اللائحة بان يكون عدد التلاميذ بكل مدرسة بمصر والإسكندرية 200 تلميذ، وبكل مدرسة من مدارس الاقاليم 100 تلميذ.

فديوان المدارس اذن هو مبتكر نظام التعليم الابتدائي في مصر، ولذلك يلاحظ ان معظم المدارس الابتدائية (وتسمى مكاتب) انشئت سنة 1837 أوما بعدها.

المدارس الابتدائية

وهذه أسماء المدارس الابتدائية التي انشئت في عصر محمد علي مرتبة بحسب المديريات.

البحيرة: مدرسة الرحمانية، مدرسة النجيلة وشبراخيت، مدرسة دمنهور (ثم احيلت على مدرسة الرحمانية).

الغربية: مدرسة ابيرا، مدرسة المحلة الكبرى، مدرسة زفتى، مدرسة شربين، مدرسة طنطا، مدرسة فوه، مدرسة الجعفرية، مدرسة نبروه.

المنوفية: مدرسة اشمون جريس، مدرسة شبين الكوم، مدرسة منوف (ثم احيلت على مدرسة اشمون جريس).

الدقهلية: مدرسة المنصورة، مدرسة ميت غمر، مدرسة المنزلة، مدرسة صهرجت، مدرسة فارسكور، مدرسة محلة دمنه.

الشرقية: مدرسة الزقازيق، مدرسة العزيزية، مدرسة بلبيس، مدرسة كفور نجم، مدرسة ميت العز.

القليوبية: مدرسة بنها، مدرسة قليوب، مدرسة الخانكة (ثم نقلت إلى السيدة زينب)، مدرسة أبي زعبل، مدرسة طوخ.

الجيزة: مدرسة حلوان

الفيوم: مدرسة الفيوم

بني سويف: مدرسة بني سويف، مدرسة بوش.

المنيا: مدرسة المنيا، مدرسة الفشن، مدرسة بني مزار

اسيوط: مدرسة اسيوط، مدرسة أبو تيج، مدرسة الساحل، مدرسة ساقية موسى، مدرسة سنبو، مدرسة ملوي، مدرسة منفلوط

جرجا، مدرسة اخميم، مدرسة جرجا، مدرسة سوهاج، مدرسة طهطا.

قنا واسنا: مدرسة قامول، مدرسة قنا، مدرسة فرشوط، مدرسة اسنا.

ويلاحظ ان معظم المدارس الابتدائية قد الغيت في أواخر عهد محمد علي. وكان التعليم في المدارس كافة عالية وتجهيزية وابتدائية مجانا، والحكومة تنفق على التلاميذ من مسكن وغذاء وملبس، وتجري على كثير منهم الارزاق والمرتبات، ولكن لم يكن الأهالي في بدء افتتاح المدارس راضين عن ادخال أبنائهم فيها، بل كانوا نافرين منها نفورهم من الجندية، فكانت الحكومة تدخلهم المدارس في غالب الاحيان بالقوة، ولكن ما لبث الاهلون ان راوا ثمرات التعليم فكفوا عن المعارضة في تعليم أبنائهم في المدارس واقبلوا عليها.

وذكر كلوت بك ان عدد التلاميذ بمدارس القطر المصري قاطبة بلغ على عهد محمد علي 9000 تلميذ، تتولى الحكومة الإنفاق على تعليمهم وسكناهم وغذائهم، وملبسهم، وتؤدي لهم رواتب ضئيلة.